

استدراكات لغوية في تفسير "مفاتيح الغيب" للرازي على القاضي عبد الجبار
 المعتزلي: دراسة تحليلية نقدية

Linguistics Observations of al-Razi on *Qāzi Abdul Jabbar al-Mu‘tazili*: A Critical and Analytical Study of *Mafātīḥ al-Ghayb*

Rahim Ullah

Doctoral Candidate, International Islamic University Islamabad

Dr. Tahira Batool

Lecturer Islamic Studies, KUST

Nisar Mehmood

Doctoral Candidate, International Islamic University Islamabad

Abstract

Imam *Fakhr al-Dīn al-Rāzī*, Muslim theologian and scholar, universally acclaimed for his intellectual brilliance, and his extremely wide-ranging commentary on the Qur’an (*Mafātīḥ al-Ghayb*) which ranks among the greatest works of its kind -. Imam Razi’s rationalism holds an important place in the debate in the Islamic tradition on the harmonization of reason and revelation. *Istidrāk* means correction of mistake, completion of deficiency and clarification of ambiguity. Islamic sciences have a long tradition of this area of research. The present article studies the linguistic *Istidrāks* of Imam Fakhru al-Din al-Razi in his Tafsir (*Mafātīḥ al-ghayb*) on Qazi Abdul Jabbar al-mutzili. It concludes that these scholars have been objective while criticizing or differing with others. They very politely point out the mistakes of other scholars and try their best to guide their readers towards the accurate Islamic notions.

Key Words: *Rectifications, Linguistics, Observation, Al-Razi, Al-Qazi, Al-Mu‘tzili, Tafṣīr*



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. إن الذي يتدبر في تاريخ أمتنا يدرك أن لها تاريخاً عريقاً كله عبارة عن فخر وسيادة وعزة وقيادة، وذلك حين فهمت القرآن فهماً صحيحاً وتمسكت و عملت به، وبذلك أصبحت خير أمة تدعو الناس إلى الخير وتشهد بالعدل والحق، إلا أنها تخلفت و تغير حالها، حينما ابتعدت عن الكتاب المبين الذي "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"¹. وأصبحت الأمة بهذا الابتعاد أمة متخلفة لا تملك أمرها بنفسها بل تتبع غيرها من الأمم وتخضع لأوامرهم و تسلك مسلكهم ولا ترى النجاح إلا في تقليدهم والأخذ بما يفعلون به. فتحقق فيها قوله تعالى: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْيى"² والحل لكل هذه المشاكل والمخرج منها هو العودة إلى كتاب الله تعالى الذي هو "هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ"³ والامتثال لما فيه من أوامر وأحكام ونظم، وهذه العودة إلى القرآن الكريم لا تحقق إلا إذا فهم المسلم فهماً صحيحاً دقيقاً وعرف خطاب الله تعالى ومراده - فمن هذا المنطلق بذل كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين في حفظ كتاب الله وفهمه ونشره، ومن هؤلاء العلماء: الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله الذي برع في هذا المجال، فقد كان إماماً ومفسراً ومحققاً ومدققاً ورمزاً للعلوم الكلامية والتفسيرية حيث اهتم في تفسيره الكبير بالمباحث الكلامية والمنطقية واللغوية. لذا عرف عنه -رحمه الله- كثرة استدراكاته على من سبقه من المدارس الكلامية. ولما كان القاضي عبد الجبار المعتزلي -شيخ وعلم هذه المدرسة، إذ كان الاعتزال ديدنه وعلم الكلام حجته لإقناع الخصوم، فقد تعقبه الإمام الرازي في نوايا تفسيره وأفند أفكاره الاعتزالية في المسائل الكلامية والمنطقية واللغوية. وهذه المقالة تركز على الاستدراكات اللغوية في تفسير "مفاتيح الغيب" للإمام الرازي على القاضي عبد الجبار المعتزلي، ودرست هذه الاستدراكات دراسة تحليلية نقدية -

معنى الاستدراك

كلمة الاستدراك بعد تجريدتها من الزوائد "درك" والدرك والإدراك: اللُحوقُ. يقال: مشيتَ حتى أدركتُهُ، وعِشْتُ حتى أدركتُ زمانه. وأدركتُهُ ببصري، أي رأيتَه. وأدركتُ الغلامَ وأدركتُ الثمرَ، أي بلغ. وربما قالوا أدركتُ الدقيقُ بمعنى فتى. واستدركت ما فات وتداركتُهُ. بمعنى. وتداركتُ القومَ، أي تلاحقوا، أي لحق آخرهم أولهم. ومنه قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً) وأصله تداركوا⁴. أما الاستدراك فهو من باب استفعال وفيه معنى الطلب، فالاستدراك في اللغة طلب تدارك السامع، وفي الاصطلاح رفع توهم تولد من كلام سابق⁵.

نبذة مختصرة عن قاضي عبد الجبار المعتزلي وتفسيره

هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدي، ولد سنة 359هـ/969 م، في منطقة أسد آباد الواقعة في قطرأفغانستان. كان شيخ المعتزلة في عصره. وملقب ب "قاضي القضاة"، وهذا اللقب كان خاصاً به ولا يستخدمون هذا اللقب لغيره. وله تفوق في التفسير وعلومه، والفقه

وأصوله. وعلم الكلام والمذاهب الكلامية والحكمة وعلومها وما إلى ذلك، وكان مدرسا بارعا واقفا عمره للتدريس والإملاء، ورئاسة المعتزلة قد انتهت إليه حتى أصبح شيخهم وعالمهم. ولي القضاء بالريّ، ومات فيها سنة 415 هـ/1025 م في التسعين من عمره. وله مؤلفات كثيرة، منها: ("تنزيه القرآن عن المطاعن") و ("الأمالي") و ("المجموع في المحيط بالتكليف") الأول منه، و ("شرح الأصول الخمسة") و ("المغني في أبواب التوحيد والعدل") أحد عشر جزءا، وكذلك له مؤلفات في أصول الفقه ألف النهاية ونقض الإمامة، وكذلك بعض الردود على المسائل التي وردت عليه من الآفاق. مثل: الرازيات؛ العسكرية؛ الخوارزميات؛ النيسابوريات. والقاضي عبد الجبار كان من أكبر الشيوخ وأكثرهم تدريسا وكتابة وإملاء⁶. "تنزيه القرآن عن المطاعن" تفسير للقرآن من منظور المعتزلة وله أهمية كبيرة في الاعتزال وتاريخه، وتناول فيه قضايا مهمة متعلقة بمذهب الاعتزال، وكذلك يتناول أنواعا من الفنون والعلوم مثل القضايا الأصولية والكلامية والعقلية، وقد رُتبت هذه الأمور كلها وفقاً لسور القرآن. وتحتوي الموضوعات قضية الزواج ولعب الميسر وشرب الخمر والموت والجهاد في سبيل الله .

نبذة مختصرة عن الإمام الرازي وتفسيره

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي، الطبرستاني، الشافعي الأشعري وهو يلقب ب "فخر الدين الرازي" و "ابن خطيب الري" و "سلطان المتكلمين" و "شيخ المعقول والمنقول"، ولد سنة 544 هـ/1149 م في الريّ وقد كان إماما ومفسرا ومحققا ومدققا ورمزا للعلوم الكلامية والتفسيرية حيث اهتم في تفسيره الكبير بالمباحث الكلامية والمنطقية. فكان صاحب شخصية قوية ومستقلة أثرت على أسلوبه في التأليف فتجلت مواهبه المتعددة في تفسيره فكان ذو ولع شديد بالنقد وثقة عالية بنفسه ، وكذلك كان معروفا ب "ابن الخطيب" وله يد طولي في التفسير وعلومه والفقه وأصوله. وعلم الكلام والمنطق والفلسفة والمنقولات وعلوم اللغة وما إلى ذلك، سافر إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. وقد وجدنا إقبال الناس على كتبه يدرسونها، وكان يحسن اللغة الفارسية. توفي الرازي في مدينة هراة سنة 606 هـ/1210 م - من تصانيفه التفسير الشهير المسمى ب "مفاتيح الغيب" وهو يحتوي على ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و معالم أصول الدين، و محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، و في أصول الكلام المسائل الخمسون، ورسالة في التوحيد، و في علم الكلام المطالب العالية، ونهاية العقول في دراية الأصول في أصول الدين، ومناقب الإمام الشافعيّ و (شرح أسماء الله الحسنى) و (تعجيز الفلاسفة) بالفارسية، وغير ذلك⁷.

التفسير الكبير المسمى ب "مفاتيح الغيب" موسوعة علمية كبيرة في التفسير، وهو يحتوي على اثنين وثلاثين جزءاً وفي ستة عشر مجلداً متداولاً بين العلماء، وله شهرة واسعة لأنه يشتمل على أنواع شتى من مسائل العلوم المختلفة، مثل الفقهية و الأصولية والكلامية و العقلية والكونية والطبيعية، والناس يعدون هذا التفسير من أمهات كتب التفسير بالرأي، اهتم الرازي في تفسيره ببعض الأمور ، أهمها مايلي:

- اهتم الشيخ بذكر المناسبات بين سور القرآن وآياته حتى اتضح معنى الآية -
- اهتم بكثرة الاستطراد إلى العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعة وغيرها.

- اهتم بذكر آراء الفلاسفة والمتكلمين حيث يذكر أولاً آراءهم ثم يرددهم ويفندهم بالتفصيل.
- اهتم بذكر المسائل الفقهية حيث يذكر مذاهب الفقهاء في كل آية ويرجح مذهب الشافعي ، لأنه شافعي المسلك فيسلك مسلكه خاصة في العبادات والمعاملات -
- اهتم في تفسيره بعلوم البلاغة والصرف والنحو والأصول واللغة كما أنه اهتم بالمسائل الكلامية والعقدية والرياضية والفلسفية -

الاستدراك الأول: قول الله تعالى: "إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون" -⁸ يرى القاضى تفسير هذه الآية هكذا: "معنى قوله: جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون هو أننا حكمنا بأن الشيطان ولي لمن لا يؤمن قال ومعنى قوله: أرسلنا الشياطين على الكافرين هو أننا خلبنا بينهم وبينهم كما يقال فيمن يربط الكلب في داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل إنه أرسل عليه كلبه. أما الرازي فقد فسر هذه الآية بقوله: "قد احتج أصحابنا بهذا النص على أنه تعالى هو الذي سلب الشيطان الرجيم عليهم حتى أضلهم وأغواهم قال الزجاج: ويتأكد هذا النص بقوله تعالى: أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين"⁹ -¹⁰ استدرك الرازي على القاضى عبد الجبار وأجاب عما قاله القاضى حيث قال: "والجواب: إن القائل إذا قال: إن فلانا جعل هذا الثوب أبيض أو أسود لم يفهم منه أنه حكم به بل يفهم منه أنه حصل السواد أو البياض فيه فكذلك هاهنا وجب حمل الجعل على التأثير والتحصيل لا على مجرد الحكم وأيضا فهب أنه تعالى حكم بذلك لكن مخالفة حكم الله تعالى توجب كونه كاذبا وهو محال فالمفرضي إلى المحال محال فكون العبد قادرا على خلاف ذلك وجب أن يكون محالا. وأما قوله إن قوله تعالى: أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين أي خلبنا بينهم وبين الكافرين فهو ضعيف أيضا ألا ترى أن أهل السوق يؤدي بعضهم بعضا ويشتم بعضهم بعضا ثم إن زيدا وعمرا إذا لم يمنع بعضهم عن البعض لا يقال إنه أرسل بعضهم على البعض بل لفظ الإرسال إنما يصدق إذا كان تسليط بعضهم على البعض بسبب من جهته فكذا هاهنا. والله أعلم."¹¹

التحليل والمناقشة

اختلف القاضى والرازي في معنى "جعل" في قوله "جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون" وكذلك في معنى الإرسال في قوله "أرسلنا الشياطين على الكافرين" فهل يحمل الجعل على الحكم كما قاله القاضى أو على التسليط كما قاله الرازي؟ وكذلك في تعيين معنى الإرسال من التخلية والتسليط، لمناقشة هذه القضية أولا أذكر أقوال اللغويين في هذا الباب -

يقول محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني في كتابه "تاج العروس" "جَعَلَ الشَّيْءَ جَعْلًا: وَضَعَهُ، جَعَلَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ: أَلْقَاهُ. جَعَلَ الْقَبِيحَ حَسَنًا: صَيَّرَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَيْ صَيَّرْنَاهَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَجَعَلْنِي نَبِيًّا أَيْ صَيَّرْنِي. جَعَلَ الْبَصْرَةَ بَعْدَادًا: ظَنَّنَا إِيَّاهَا. جَعَلَ لَهُ كَذَا عَلَى كَذَا: شَارَطَهُ بِهِ عَلَيْهِ وَمِنْهُ الْجَعَالَةُ، كَمَا سَيَأْتِي. قَالَ الرَّاعِبِيُّ: يَتَصَرَّفُ جَعَلَ عَلَى أُوجِهِ، مِنْهَا: يُقَالُ: جَعَلَ يَفْعَلُ كَذَا: أَيْ أَقْبَلَ وَأَخَذَ، وَهُوَ بِمَعْنَى التَّوَجُّهِ وَالشَّرُوعِ فِي الشَّيْءِ وَالِاشْتِغَالِ بِهِ. وَيَكُونُ جَعَلَ بِمَعْنَى سَمَّى، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَائًا: أَيْ سَمَوْهُمْ، وَقِيلَ: وَصَفَوْهُمْ

بذلك وحكّموا به، كما يُقال: جعل فلان زبداً أعلم الناس. أو بمعنى الاعتقاد، كقوله تعالى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ. يكون بمعنى التبيين ومنه قوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا أَيْ بَيِّنًا، وقيل: معناه: فلناه وأنزلناه. يكون بمعنى الخلق والإيجاد، فيتعدى إلى مفعول واحد، ومنه قوله تعالى: وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ: أَيْ خَلَقَهَا، وقوله تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ وقوله تعالى: وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ. يكون بمعنى التّشريف نحو قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً أي شرفناكم، وقيل: سميناكم، وكذا قوله تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكُفَّةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَامًا. يكون بمعنى التّبديل نحو قوله تعالى: فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وكذا قوله تعالى: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ. يكون بمعنى الحكم الشرعي كقول الشارع: جعل الله الصلوات المفروضات خمساً أي حكم به. يكون بمعنى التّحكّم البديعي كقوله تعالى: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ. وَقَالَ الرَّاعِبِيُّ: "قد يكون الجعل بمعنى الحكم بالشيء على الشيء، حقاً كان أو باطلاً، فأما الحقُّ نحو قوله تعالى: إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ وأما الباطل فنحو قوله: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ" ¹² يقول أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي في كتابه: "جعل) قوله تعالى: {إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون} أي صبرناهم. ويكون جعل بمعنى عمل وهياً، يقال: جعلت الشيء بعضه فوق بعض، ويقال: جعل يقول: أي أخذ يقول. وجعل فلان زبداً أعلم الناس: إذا وصفه بذلك، وحكم به. ومنه قوله: {وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً} أي وصفوهم بذلك. وقوله: {وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون} أي خلقناه، وقوله: {إنا جعلناه قرآناً عربياً} أي صبرناه، وقيل: بياناه، ومنه قوله: {وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً}، وقوله: {أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم}، أي هل رأوا غير الله خلق شيئاً فاشتبه الخلق عليهم خلق الله من خلق غيره" ¹³ وكذلك يقول محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: "والإرسال: التّسليط، وبه فسّر قوله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُهُمْ أَرْأًا، أَيْ سَلَطُوا عَلَيْهِمْ، وَقَبِضُوا لَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَبِضْ لَهُ شَيْطَانًا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّا خَلَقْنَا الشَّيَاطِينَ وَإِيَّاهُمْ، فَلَمْ نَعْصِمَهُ مِنَ الْقَبُولِ مِنْهُمْ، وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ ذَكَرَهُمَا الرَّجَّاجُ، قَالَ: وَالْمُخْتَارُ الْأَوَّلُ. وَقِيلَ: الْإِرْسَالُ هُنَا: الْإِطْلَاقُ، وَالتَّخْلِيَةُ، وَبِهِ فَسَّرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْآيَةَ. وَالْإِرْسَالُ أَيْضًا: الْإِهْمَالُ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْإِطْلَاقِ وَالتَّخْلِيَةِ. وَالْإِرْسَالُ، أَيْضًا: التَّوْجِيهُ، وَبِهِ فَسَّرَ إِرْسَالُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَأَنَّهُ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَنْ أَنْذِرُوا عِبَادِي، قَالَه أَبُو الْعَبَّاسِ ¹⁴. يَقُولُ ابْنُ الْفَارِسِ: "وَأُرْسِلَ الشَّيْءُ: أُطْلِقَهُ وَأَهْمَلَهُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُهُمْ أَرْأًا؛ قَالَ الرَّجَّاجُ فِي قَوْلِهِ أَرْسَلْنَا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّا خَلَقْنَا الشَّيَاطِينَ وَإِيَّاهُمْ فَلَمْ نَعْصِمَهُمْ مِنَ الْقَبُولِ مِنْهُمْ، قَالَ: وَالْوَجْهُ الثَّانِي، وَهُوَ الْمُخْتَارُ، أَنَّهُمْ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ وَقَبِضُوا لَهُمْ بِكُفْرِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَبِضْ لَهُ شَيْطَانًا؛ وَمَعْنَى الْإِرْسَالِ هُنَا التَّسْلِيطُ؛ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: الْفَرْقُ بَيْنَ إِرْسَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ وَإِرْسَالِهِ الشَّيَاطِينَ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ، أَنْ إِرْسَالَهُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا هُوَ وَحْيُهُ إِلَيْهِمْ أَنْ أَنْذِرُوا عِبَادِي، وَإِرْسَالَهُ الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَخْلِيَتُهُ وَإِيَّاهُمْ كَمَا تَقُولُ: كَانَ لِي طَائِرٌ فَأَرْسَلْتَهُ أَيْ خَلَيْتُهُ

وأطلقت. والمُرْسَلَات، فِي التَّنْزِيلِ: الرِّيحُ، وَقِيلَ الخَيْلُ، وَقَالَ نُعَلَبُ: المَلَأْتُكَ. والمُرْسَلَةُ: قِلَادَةٌ تَقَعُ عَلَى الصُّدْرِ، وَقِيلَ: المُرْسَلَةُ القِلَادَةُ فِيهَا الخَرْزُ وَغَيْرُهَا. والرِّسْلُ: اللَّبَنُ مَا كَانَ. وَأُرْسَلَ القَوْمُ فَهُمْ مُرْسَلُونَ: كَثُرَ رِسْلُهُمْ، وَصَارَ لَهُمُ اللَّبَنُ مِنْ مَوَاشِيهِمْ¹⁵

بعد دراسة هذه الأقوال، نقول إن أصحاب كتب اللغة قد ذكروا عدة معانٍ لـ "جعل": منها صير، وحكم، ووصف، وخلق، وبين، وشرف، وأخذ، وسعى وما إلى ذلك كما درسنا مع الأمثلة بالتفصيل، وكذلك ذكروا المعاني العديدة للإرسال: منها الإطلاق والإهمال والتسليط والتخلية وما إلى ذلك. ولكن كما لاحظنا أن أصحاب اللغة حملوا هذه الآية: {إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون} بمعنى "صير" لا بمعنى "حكم" كما قاله القاضي، وكذلك معظمهم ذكروا معنيين للإرسال: التسليط، والتخلية ولكن قد رجحوا المعنى الأول، وهو التسليط، وبه قال الزجاج، فالذي يظهر للباحث أن ماقاله الرازي صائب وراجح وموافق أهل اللغة، وماقاله القاضي خلاف الظاهر. فقول

الرازي راجح -

الاستدراك الثاني: قوله تعالى: {ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم}¹⁶ يقول الرازي إن معنى قول الله تعالى: "ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء يعني أن مع كل ما جرى عليهم من الخذلان فإن الله تعالى قد يتوب عليهم. قال أصحابنا: إنه تعالى قد يتوب على بعضهم بأن يزيل عن قلبه الكفر ويخلق فيه الإسلام".¹⁷ ثم ذكر قول القاضي حيث قال: "قال القاضي: معناه فإنهم بعد أن جرى عليهم ما جرى، إذا أسلموا وتابوا فإن الله تعالى يقبل توبتهم".¹⁸

استدرك الرازي على القاضي عبد الجبار المعتزلي وضعف قوله حيث قال: "وهذا ضعيف لأن قوله تعالى: ثم يتوب الله ظاهره يدل على أن تلك التوبة إنما حصلت لهم من قبل الله تعالى وتمام الكلام في هذا المعنى المذكور في سورة البقرة في قوله: فتاب عليه [البقرة: 37] ثم قال: والله غفور رحيم أي غفور لمن تاب، رحيم لمن آمن وعمل صالحاً"¹⁹.

التحليل والمناقشة

ذكر القاضي معنى قول الله "ثم يتوب الله" بقوله "فإنهم بعد أن جرى عليهم ما جرى، إذا أسلموا وتابوا فإن الله تعالى يقبل توبتهم"، ثم استدرك عليه الإمام الرازي حيث قال "وهذا ضعيف، وذكر معنى هذا القول "بأن يزيل عن قلبه الكفر ويخلق فيه الإسلام". أراد القاضي بقول الله "ثم يتوب الله" قبول التوبة، بينما الإمام الرازي ذكر مفهوم الآية بإزالة الكفر عن قلب الإنسان وخلق الإسلام فيه - نذكر أقوال المفسرين وكبار العلماء واللغويين لنناقش القضية ولنحكم على القول الراجح، إليكم بعض الأقوال: يقول الإمام الطبري: "القول في تأويل قوله: {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}" قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه، من بعد عذابه الذي به عذب من هلك منهم قتلا بالسيف (على من يشاء)، أي يتوب الله على من يشاء من الأحياء، يُقبل به إلى طاعته (والله غفور)، لذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها (رحيم)،

بهم، فلا يعذبهم بعد توبتهم، ولا يؤاخذهم بها بعد إنباتهم²⁰. يقول البيهقي في تفسيره: "ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ"²¹ {فَمَهْدِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}²² - يقول علاء الدين علي بن محمد المعروف بخازن في تفسيره: "ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ يعني فمهديه إلى الإسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث أسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فمن عليهم وأطلق سببهم وَاللَّهُ غَفُورٌ إِنَّ تَابَ رَحِيمٌ بعباده"²³. يقول الماتريدي في تفسيره: "وقوله: (كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ). قيل: إن فيه وجوهاً: قيل: فتاب عليه، أي: وفق له التوبة، وهداه إليها فتاب، كقوله: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا)، أي: وفق لهم التوبة فتابوا. وقيل: خلق فعل التوبة منه، فتاب، كما قلنا في قوله: (وَهَادَا) أي: خلق فعل الاهتداء منه فاهتدى. وقيل: تاب عليه، أي: تجاوز. وقيل: إن التوبة هي الرجوع. رجع آدم عن عصيانه؛ فرجع هو إلى الغفران"²⁴ يقول ابن كثير: قوله تعالى: {فَتَابَ عَلَيْهِ}²⁵، "أي وفقه للتوبة وقبلها منه، وعاد عليه بالمغفرة"²⁶. يقول الواحدي: "أي عاد عليه بالمغفرة"²⁷. يقول أبو حيان: "أي تفضل عليه بقبول توبته"²⁸ يقول ابن عطية: أي: "رجع به، والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق، والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستأنف"²⁹. يقول الماوردي: "أي قبل توبته، والتوبة الرجوع، فهي من العبد رجوعه عن الذنب بالندم عليه، والإقلاع عنه، وهي من الله تعالى على عبده، رجوع له إلى ما كان عليه"³⁰. يقول أحمد مختار عبد الحميد في معجمه: "ت و ب تاب/ تاب إلى/ تاب على/ تاب عن يتوب، تُب، تَوَّبًا وَتَوْبَةً، فهو تائب، والمفعول مَتُوبٌ إليه -

• تاب المذنب/ تاب المذنب إلى الله: ندم على ما صدر عنه، ورجع عن المعصية "تاب العاصي من ذنوبه الكثيرة- {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا}."

• تاب الله عليه/ تاب الله عنه: وفقه للرجوع عن المعصية وغفر له وصَفَحَ عنه "التوبة النصوح أن يتوب العبد عن الذنب ولا يعود إليه- {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}³¹. يقول الراغب: "التوبة في الشرع: ترك الذنب، والندم على ما فات، والعزيمة على عدم العودة إليه، وتدارك ما أمكنه من عمل الصالحات، فهذه أركان التوبة وشروطها"³². وكذلك يقول الشيخ الهروري في تهذيب اللغة: ومعنى (التوبة) في اللغة: الرجوع. وفي الشريعة: رجوع العبد من المعصية إلى الطاعة، فالعبد يتوب إلى الله والله يتوب عليه، أي يرجع عليه بالمغفرة. والعبد تواب إلى الله أي راجع إليه بالندم، والله تواب يعود عليه بالكرم، والعبد تواب إلى الله بالسؤال، والله تواب عليه بالنوال³³.

بعد دراسة هذه الأقوال، نقول إن معظم المفسرين وأهل اللغة وافقوا قول القاضي بأن المراد من الآية قبول التوبة، إذن يظهر للباحث أن قول القاضي قوي في هذا الباب-

الاستدراك الثالث: قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}³⁴ يذكر الرازي في تفسير "عن عباده" وجهين، ثم يذكر قول القاضي حول الوجه الثاني حيث يقول: "(عن) في قوله تعالى: عن عباده فيه وجهان: الأول: أنه لا فرق بين قوله: عن عباده

وبين قوله: من عباده يقال: أخذت هذا منك وأخذت هذا عنك. والثاني: قال القاضى: لعل (عن) أبلغ لأنه ينبئ عن القبول مع تسهيل سبيله إلى التوبة التي قبلت³⁵ -

استدرك الرازي على القاضى عبد الجبار فيما قاله عن الوجه الثانى حيث قال: "أقول: إنه لم يبين كيفية دلالة لفظة (عن) على هذا المعنى، والذي أقوله إن كلمة (عن) وكلمة (من) متقاربتان، إلا أن كلمة (عن) تفيد البعد، فإذا قيل: جلس فلان عن يمين الأمير، أفاد أنه جلس في ذلك الجانب لكن مع ضرب من البعد فقوله: عن عباده يفيد أن التائب يجب أن يعتقد في نفسه أنه صار مبعداً عن قبول الله تعالى له بسبب ذلك الذنب، ويحصل له انكسار العبد الذي طرده مولاه، وبعده عن حضرة نفسه، فلفظة (عن) كالتنبيه على أنه لا بد من حصول هذا المعنى للتائب"³⁶.

التحليل والمناقشة

اختلف القاضى والرازي في معنى "من عباده" و"عن عباده" حيث يرى الرازي أنهما متقاربتان ولا فرق بين "يقبل التوبة عن عباده" وبين "يقبل التوبة من عباده" حقيقة. نعم هنا فرق بسيط بينهما بأن "عن" تفيد البعد ثم وضح بالمثال هذا البعد حيث قال: "فإذا قيل: جلس فلان عن يمين الأمير، أفاد أنه جلس في ذلك الجانب لكن مع ضرب من البعد فقوله: عن عباده يفيد أن التائب يجب أن يعتقد في نفسه أنه صار مبعداً عن قبول الله تعالى له بسبب ذلك الذنب". فلفظ "عن" تُنبه التائب على هذا المعنى، أما القاضى فقد يرى أن "عن عباده" أبلغ في الإنبياء عن قبول التوبة مع تسهيل سبيلها، ولكن لم يذكر كيفية الدلالة على هذا المعنى، فالقاضى يرجح "عن عباده" على "من عباده". والمعنى والفرق الذي ذكره الرازي، وجدنا له مؤيداً أيضاً في لسان العرب حيث قال: "وَمِمَّا يَقَعُ الْفَرْقُ فِيهِ بَيْنَ مَنْ وَعَنْ أَنْ مَنْ يُضَافُ بِهِ مَا قَرِيبٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ، وَعَنْ يُوصَلُ بِهِ مَا تَرَاخَى، كَقَوْلِكَ: سَمِعْتُ مِنْ فُلَانٍ حَدِيثًا، وَحَدَّثَنَا عَنْ فُلَانٍ حَدِيثًا. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ؛ أَي مِنْ عِبَادِهِ. الْأَصْمَعِيُّ: حَدَّثَنِي فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ، يُرِيدُ عَنْهُ، وَلِهَيْتُ مِنْ فُلَانٍ وَعَنْهُ، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: لَهَيْتُ عَنْهُ لَا غَيْرُ، وَقَالَ: عَنْكَ جَاءَ هَذَا، يُرِيدُ مِنْكَ"³⁷ -

والمعنى الذي ذكره القاضى كذلك نجده في بعض التفاسير، مثلاً: يقول الخازن: "وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل: لا فرق بين عن عباده ومن عباده إذ لا فرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك. وقيل: بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لأن فيه تبشيراً بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها"³⁸ - وكذلك أشار إليه صاحب المنار أيضاً حيث يقول: "وَقَبُولُ التَّوْبَةِ عَنْهُمْ قِيلَ: إِنَّهُ بِمَعْنَى قَبُولِهَا مِنْهُمْ، نَحْوُ: لَا صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ غِيٍّ وَمِنْ غِيٍّ، وَقِيلَ: إِنَّ الْقَبُولَ هُنَا قَدْ تَضَمَّنَ مَعْنَى التَّجَاوُزِ وَالصَّفْحِ، أَي هُوَ الَّذِي يَقْبَلُهَا مِنْهُمْ مُتَجَاوِزًا عَنْ ذُنُوبِهِمْ عَفْوًا عَنْهَا وَهَذَا أَبْلَغُ"³⁹ -

والذي يراه الباحث ويظهر له أن اللغويين يجيزون نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، كما أجازوا تضمين فعل معنى فعل آخر فيتعدى تعديته، ومن الأمثلة على نيابة «عن» عن حرف الجر «من» قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}⁴⁰ وقوله تعالى: {وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}⁴¹، وقول صاحب التاج: «منعه من كذا، وعن كذا»، وقول المصباح: «اعتذر عن فعله»، و «تولّد الشيء عن

غيره»، وقول ابن خلدون: «علم المنطق علم يعصم الذهن عن الخطأ»، وقول الأصمباني: «انتزعوا هذا السهم عني»، وقول ابن عبد ربه: «لا يتفرع شيء إلا عن أصله».⁴²
 إذا عرفنا هذا فنقول إن «عن» تفيد معنى المجاوزة في اللغة، ويكون المراد من هذه الآية- والله أعلم:- أن الله تعالى يقبل التوبة متجاوزا عن عباده في توبتهم لعدم خلوصها، رحمة منه بهم، ولاشك في بلاغة هذا المعنى وفصاحته.

النتائج والخاتمة

- الاستدراك: "هو أن يتبع القول الأول بقول ثان يصلح خطأه أو يكمل نقصه أو يزيل عنه لبسا" المراد من الاستدراك هو التصحيح والتدارك وتكميل مانقص من العلماء السابقين في كتبهم -
- الإمام الرازي كما أن له مهارة تامة في المسائل الكلامية والعقدية، كذلك له مهارة تامة في المسائل اللغوية كما ظهرت هذه المهارة من تفسيره -
- قاضي عبد الجبار المعتزلي من شيوخ المعتزلة، وله يد طولى في هذه المسائل كما هي مصرحة في تفسيره وكتابه الموسوم بـ "المغني"
- استدراك الإمام الرازي على القاضي أحيانا يكون بالصرحة، ويذكر اسم القاضي كاملا، مثلا يقول "استدرك الإمام الرازي على القاضي عبد الجبار" وأحيانا يكتفي بذكر "القاضي" فقط، وأحيانا يشير إليه فقط ولا يذكر الاسم، مثلا يقول: "قال بعض المفسرين" أو "قال البعض" وما إلى ذلك -
- يظهر من هذه الدراسة أن نفس الاختلاف في المسائل اللغوية ليس بمذموم، إذا كان في حدود وليس الاختلاف بينهم إلا بالدليل، نعم إذا كان الخلاف خلاف تعصب وبدون أي دليل، فهو مذموم وممنوع شرعا -

References

- ¹ Fussilat, 42:25.
- ² Taha, 124:20.
- ³ Al-Baqarah 185:2.
- ⁴ Abu Nasar Ismael bin hamaad aljawhari alfarabi, *Alsifah taj ullughat wa sihahu alarabiah* (birut: darul elm, 1407 AH - 1987 AD) 4: 1582.
- ⁵ Ali bin muhamad aljurjani, *kitabul al-Tarifati* (lubnan :Daru l-kutub alelmiat birut, first edition, 1403AH, 1983AD), 21.
- ⁶ Khairu d-din bin mahmud al-zarkali, *Al'alam* (Darul elam, Edition 5, Publication year 2002 AD), 3: 273.
- ⁷ See for details: *Al'alam*, 6: 313.
- ⁸ Al-a'raf 27.
- ⁹ Maryam: 83.
- ¹⁰ Fakhr al-din al-razi, *Mafatih al-ghaib* (Beirut: Dar Ihya al-turas al-arabi, Third edition) 14: 224.
- ¹¹ Al-razi, *Mafatih al-ghaib* 14: 224.

- ¹² Muhammad bin Muhammad Abdu Razaq alhusaini, *Tajul urus* (Lubnan, Darulhidaya, First edition), 28: 206.
- ¹³ Abu Ubaid ahmad bin Muhammad alaharavi, *Al-gharibain fi al-qr'an walhadith* (Pulisher, Nzar Mustafa Book shop, Saudi Arabia, First edition 1999), I: 345.
- ¹⁴ Al-Husaini, *Tajul urus*, 29: 72.
- ¹⁵ Muhammad bin Mukarram, Ibne manzur, *Lisanul arab* (Birut, Daru Sadir, Thied edition) II: 285.
- ¹⁶ Al-Tauba 26, 27.
- ¹⁷ Al-razi, *Mafatih al-ghaib* 16: 20.
- ¹⁸ Al-razi, *Mafatih al-ghaib* 16: 21.
- ¹⁹ Al-razi, *Mafatih al-ghaib* 16: 22.
- ²⁰ Al-razi, *Mafatih al-ghaib* 14: 190.
- ²¹ Al-Tauba 27.
- ²² Muhammad Husain bin Masud Baghavi, *Tafsirul Baghavi* (Daru altayeba linashre wattazi, Fourth edition), 4:370.
- ²³ Ilau din Ali ibne Muhammad Ibrahim, *Tafsirul Khazin*, (Birut, Darul Kutub Alilmia, First edition), 2:348.
- ²⁴ Muhammab bin Muhammad Almaturidi, *Tafsirul Maturidi*, (Birut, Darul Kutub Alilmia, First edition) I: 439.
- ²⁵ Al-Baqara: 37
- ²⁶ See for details: *Tafsir ibne Kasir*, I:87.
- ²⁷ Abu lhasan Ali abne Muhammad Alnisaburi, *Al-Tafsirul Basit*, (Imadatul Bahs alilmi, Saudia Arabia), 2: 409.
- ²⁸ Abu Hayyan Muhammad bin Yousaf Alundulsi, *Albahrul Muhit*, (Birut, Darul Fikar) I: 137.
- ²⁹ Al-Undulusi, *Albahrul Muhit*, I:131.
- ³⁰ Al-razi, *Mafatih al-ghaib* 16: 22.
- ³¹ Dr. Ahmad Mukhtar, *Mujama Lughatu alarabia almuaasra*, (Alimu alkutub) I:303.
- ³² See for details: *Mufradarat Al-Raghaib*: 76.
- ³³ See for details: *Tahzibu Lughat*, I: 416 - 417.
- ³⁴ Al-Tauba, 104.
- ³⁵ Al-razi, *Mafatih al-ghaib*, 16:140.
- ³⁶ Al-razi, *Mafatih al-ghaib*, 16:140.
- ³⁷ Lisanul Arab, 13: 296.
- ³⁸ Al-Undulusi, *Albahrul Muhit*, 2:404
- ³⁹ Muhammad Rashid bin Ali Raza, *Tafsirul Manar* (Alhaiatul Misria Alama Lilkutub, 1990 AD), II: 26.
- ⁴⁰ Al-shura 25.
- ⁴¹ Al-Room 7.
- ⁴² Al-jurjani, *Al-Tarifat*, I:575.